شعر الطبيعة عند الشاعرين عيسى عبد الله وعبد الواحد حسن السنوسي دراسة وصفية تحليلية

د. حسـين أحمد جمعة(*)

- **مُلخص:**

الطبيعة هي تلك المحسوسات من الأشياء والمناظر الجميلة التي تحيط بالإنسان، وتجبره على التعامل معها، كما تفرض عليه هيمنتها وتأسره بجمالها الخلاب، فالطبيعة هي بمثابة مأوى، وملجأ، وركن مكين يلجا اليه الإنسان. وفي ذات الوقت هي سحر وجمال يخلب لب الإنسان، كما هي واحة يتنفس فيها الإنسان، ويبثها مكنونات وجدانه، ويجد من خلال ذلك الراحة الداخلية.

والطبيعة هي ذلك الجمال الذي يتداخل في الذات الشاعرة بجمال المرأة والانثى وأسرارها، وقد عمل الشعراء على إبراز مكنونات الطبيعة وأسرارها، من خلال لغة ذات شفافية خاصة، فلم تعد مظاهر الطبيعة وعناصرها من غيوم ورعد وبرق وغابات ووديان وورود، عناصر ينسقها الشاعر في القصيدة، من اجل إثبات قرينة ما، في مجال التشبيهات والاستعارات والمجاز، وانما اصبحت تلك الأشياء تكشف عن مخبوءاتها من خلال رؤى الشعراء، وهي محملة بأنواع من المعاني والدلالات الانسانية.

وبذلك صارت الطبيعة أداة لإبراز المشاعر الوجدانية ووسيلة لإظهار الأفكار المحملة بالعاطفة تجاه ما يهتم الشاعر بتصويره، مستمدا من الطبيعة تلك الصور البديعة، التي يقوم الشاعر فيها بإضفاء العواطف الداخلية وتحميل ذلك بالدلالات والإشارات والايحاء، التي تضفي على الدلالات ابعادا أخرى، تعكس الطاقة الإبداعية لدى الشاعر.

والشعر الذي يتعرض للطبيعة وصورها الخلابة، وتقلباتها المختلفة قديما، كان موجودا، ولكن كعرض شعري خاص بالطبيعة، لم يظهر إلا مؤخرا مع ظهور التيارات التجديدية، مثل الرومانسية وتفرعاتها في الوطن العربي، وفي المهجر. وقد تأثر الشعر التشادي بهذه التيارات التجديدية بوصفه امتدادا للشعر في الوطن العربي.

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة إنجمينا– تشاد

ومن أبرز الشعراء التجديديين في تشاد، الشاعر عيسى عبد الله الذي يعد رائدا للشعر التجديدي في تشاد، ومن أقدر الشعراء معاملة مع شعر الطبيعة، الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، وانطلاقا من ذلك، فإن هذه الورقة البحثية تقوم على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم شعر الطبيعة
- المبحث الثاني: أبعاد شعر الطبيعة لدى عيسى عبد الله
- المبحث الثالث: شعر الطبيعة وأبعاده عند عبد الواحد
- الخاتمة – النتائج – التوصيات

تتناول الملاحث شعر الطبيعة لدى الشاعرين، للكشف عن الأهداف التي تعمل الدراسة على استقصائها عبر المنهج الوصفي التحليلي.

ومن أهم نتائج الدراسة

- يعد الشاعر التشادي عيسى عبد الله هو الرائد الأول للشعر التجديدي في الأدب التشادي المعاصر.
- أسهمت حياته الثورية في الريف التشادي على اهتمامه بالطبيعة.
- يتضمن شعر الطبيعة عنده العديد من الأبعاد الوطنية والجمالية والدلالية والقيمية والنضالية.
- يمثل شعر عيسى عبد الله عامة، وفي غرض الطبيعة خاصة انتقالا محوريا في مسيرة الشعر التشادي المعاصر.
- يعد عبد الواحد حسن السنوسي، شاعرا موهوبا ومتميزا.
- تمكن عبد الواحد حسن من التفرد في أساليب كتابة الشعر.

الكلمات المفتاحية: شعر الطبيعة، الشعر التشادي، عيسى عبد الله، عبد الواحد حسن السنوسي

- **Abstract**

Nature is the sensible things and beautiful scenery that surrounds a person, and forces him to deal with them, as well as imposes its dominance on him and captivates him with its bewitching beauty. At the same time, it is a charm and beauty that enchants the human heart, as it is an oasis in which a person breathes, transmits the secrets of his conscience, and through that he finds inner comfort.

Nature is that beauty that overlaps in the poet's self with the beauty of woman and her secrets. Poets have worked to highlight nature's secrets, through a language of special transparency in order to prove a presumption, in the field of similes and metaphors, but these things have become revealing their hidden things through the visions of poets, and they are laden with kinds of human meanings and connotations.

Thus, nature has become a tool for highlighting sentimental feelings and a means for showing ideas laden with emotion towards what the poet is interested in portraying, deriving from nature those wonderful images, in which the poet imparts internal emotions and loads that with connotations, signs and inspiration, which give the connotations other dimensions that reflect the creative energy of the poet.

Poetry that deals with nature, its picturesque images, and its various fluctuations in the past existed, but as a poetic presentation of nature, it did not appear until recently with the emergence of innovative currents, such as romanticism and its branches in the Arab world and in the Diaspora. Chadian poetry has been affected by these renewal currents as an extension of poetry in the Arab world.

Among the most prominent renewalist poets in Chad, the poet Issa Abdallah, who is considered a pioneer of renewalist poetry in Chad, and one of the most capable poets in dealing with the poetry of nature, the poet Abdoul-Wahid Hassan al-Senussi, and based on that, these research paper cosists of three topics.

1- The concept of nature poetry

2- The dimensions of the nature poetry of Issa Abdallah

3- The poetry of nature and its dimensions according to Abdoul-Wahid poetry.

– Conclusion - results - recommendations

It deals with the nature poetry of the two poets, to reveal the goals that the study is investigating through the descriptive analytical approach.

Results

- The Chadian poet Issa Abdallah is the first pioneer of innovative poetry in contemporary Chadian literature.
- His revolutionary life in rural Chad contributed to his interest in nature.
- His nature poetry includes many national, aesthetic, semantic, value and struggle dimensions.
- The poetry of Issa Abdallah in general, and in The Purpose of Nature in particular, represents a pivotal transition in the march of contemporary Chadian poetry.
- Abdoul-Wahid Hassan Al-Senussi is a talented and distinguished poet.
- Abdoul-Wahid Hassan was able to be unique in the methods of writing poetry.

Keywords: Nature poetry, Chadian poetry, Issa Abdullah, Abdul Wahid Hassan Al-Senussi

- **مقدمة:**

فن الشعر من أبرز الفنون الإنسانية الجميلة وأكثرها انتشارا، والشعر هو اللغة في ارقى جمالياتها، و ابهى تجلياتها، وأداة صياغة فن الشعر هو اللغة، وعبر هذه اللغة تعبر كل الجماعات في مختلف الأقطار عن افكارها باللغة، التي تتواصل بها في المجتمع، وتعبر بها عن حاجاتها، وإذا كان الشعر من الحاجات النفسية، لارتباطه بالعاطفة والأحاسيس الوجدانية، فان لغة الشاعر تكشف عن آفاقه اللغوية والمعرفية، وانطلاقاً من ذلك فإن الشعر في القطر التشادي، يستمد جذوره ومنابعه وتياراته ومادته الأولى، وهي اللغة من الوطن العربي الكبير، وذلك نتيجة لعوامل الربط وانتشار اللغة العربية في هذا البلد الأفريقي، الذي يتميز بين البلاد الواقعة خلف الصحراء الكبرى، بلسانه العربي.

وقد اثبتت كل المعطيات العلمية، والأدبية والدينية والثقافية، أن الأدب التشادي المكتوب باللغة العربية، يرتقي إلى مراتب الأدب في كل قطر عربي، كما تكشف ذلك الابداعات الشعرية التي أنتجها الشعراء التشاديون، في كل المراحل، وفي كل الاتجاهات والمذاهب الأدبية، وفي كل الأغراض الشعرية.

وهذا البحث يتناول ابداعات شعرية، تتسم بقوة السبك وجمال الأسلوب وثراء اللغة، وإثارة المشاعر، والإيحاء بالأفكار عن طريق الصور، اضافة الى تناولها للقضايا الوطنية عبر شعر الطبيعة، وذلك في شعر الرائد الأول للتيارات التجديدية، الشاعر عيسى عبد الله، والشاعر المبدع المبتكر عبد الواحد حسن السنوسي.والبحث يسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. محاولة الكشف عن ربط شعر الطبيعة بالوطن
2. الكشف عن الأبعاد التصويرية للطبيعة
3. الكشف عن الدلالات الرمزية في شعر الطبيعة
4. السعي إلى معرفة إبراز الصور الجمالية للطبيعة
5. الكشف عن الدلالات الاعتقادية من خلال الطبيعة

المنهج : لصياغة هذه الورقة البحثية، يوظف الباحث المنهج الوصفي التحليلي: وهو المنهج الذي يقوم بدراسة الظاهرة ووصفها كما في الواقع، مع التعرف على كافة الأسباب والعوامل المساعدة لحدوث الظاهرة، من أجل الوصول الى النتائج.

وقد استند الشاعر على مؤلفات الشاعرين عيسى عبد الله، صاحب ديوان حذو ما قالت حذام – وعبد الواحد حسن السنوسي صاحب ديوان (كبرى) لإجراء هذه الدراسة.

- **المبحث الأول : مفهوم شعر الطبيعة**

الطبيعة يأتي مفهومها أو بالأحرى معناها في اللغة من الطبع أي العادة التي اعتاد عليها الشيء أو الانسان بالفطرة، والطبيعة في مفهومها المعتاد هي المحسوسات المحيطة بالإنسان، وهي تشمل جميع ما خلقه الله من جبال وأودية وبحار وأنهار ونجوم ونبات وسماء[1]. والطبيعة هي كل ما أوجده الله في الكون منذ القدم، أو هي كل ما ليس من صنع الإنسان[2].

والطبيعة الانسانية : وتعني تلك الاستعدادات والقدرات النفسية والعقلية التي يتميز الإنسان عن بقية الكائنات، كما تميز كل إنسان عن آخر.

وبهذا المفهوم تكون الطبيعة هي الحالة الثابتة التي عليها الشيء او المظهر المألوف المعتاد، وكذلك الطبع الثابت في الانسان[3]. فالطبيعة بهذا المفهوم تعني البداهة، أي المظاهر المتكررة او المناظر الثابتة، والأشياء المألوفة للإنسان، والتي يتصل بها من خلال الحواس، ويعتمد عليها في حياته وتلبية حاجاته، ويركن لوجودها، ويألفه بما هو عليه.

وتتمثل الطبيعة في مختلف المظاهر الكونية و الموجودات الحسية التي أبدعها الخالق سبحانه وتعالى، وسخرها للإنسان لتكون له مأوى وملجأ ومستقرا، وتكون مخزنا

1– المعجم العربي الاساسي – مطابع امبريمتو – بيروت، لبنان. 1991م ص 786

2– المرجع نفسه ص 786

3– د. ميشال جايران، مظاهر الكون، دار المعارف، بيروت 1996م ص 49

للغذاء وسلة يقتات منها، كما تكون مناظرا وجمالا وآية تدل على قدرة الخالق وحكمته وابداعه. والطبيعة بمفهومها الظاهر ما هي إلا مجسمات أو أجسام ومظاهر ذات ديمومة نسبية، يعكس ثباتها وقدمها عند الإنسان، وتعكس في ذات الإنسان مزايا نفعية ودلالات اعتقادية تدل على وجود الصانع المبدع الحكيم المصور الذي خلق الطبيعة وصورها، وبث فيها صورا خلابة ومناظر بهيجة تعكس الروعة والجمال، وتكون مصدر إلهام وإبداع ومحاكاة لذوي المواهب والملكات، وقد نصت الآيات القرآنية على وجود الطبيعة من ناحية، وأن الطبيعة ومظاهرها تدل على وجود موجد الطبيعة من ناحية أخرى، وهو الله المبدع الحكيم، حيث ذكر في كتابه العزيز: (*تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا*) سورة الفرقان الآية 61. كما ذكر في سورة الرحمن قوله تعالى (*الرحمن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والسماء رفعها ووضع الميزان*) الآيات 1–6.

فالطبيعة اذا هي من المظاهر المادية التي بثها الله سبحانه وتعالى في الكون من جبال وصحاري ووديان وغابات وسهول وبحار وأنهار ومروج وغابات، وغيرها من الكائنات الطبيعية التي خلق الله وسخرها للإنسان وجعلها في محيطه حتى اعتاد عليها الإنسان وصارت مألوفة يركن لوجودها ويحتار لاختفائها، لأنها اعتاد عليها وصارت من الأشياء الطبيعية لديه.

والطبيعة هي المهد والمستقر والحصن الحصين الذي يتحصن الإنسان ويأويه، ويقتات منه ويقيه تقلبات الطبيعة، يقول الحق تبارك وتعالى (*إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلًا أو نهارًا فجعلناها حصيدًا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون*) يونس الآية 24.

والطبيعة إذا كانت رمزا للجمال والروعة لدى الانسان، فان هذا الجمال والروعة والسحر والغموض والقسوة، التي فيها هي مصدر الهام ابداعي لأصحاب المواهب

والملكات الإبداعية، ومنذ القدم تأثر الإنسان بالطبيعة وجمالها وروعتها ورهبتها، فالرسوم القديمة على جدران الكهوف والمغارات، والتماثيل على ساحات المعابد والساحات لا تصور الا الطبيعة، والفنان يحاكي الطبيعة، يرسمها ويصورها يعبر عن موهبته ودواخله لذلك فإن أرسطو يحصر المحاكاة في الفنون سواء أكانت فنون أعمق من الحقيقة والواقع، والفنون عند ارسطو محاكاة للطبيعة لتساعد على فهمها فألقن شأنه شأن النظم التهذيبية والتربوية، يكمل ما لم تكمله الطبيعة[1]، والفن يجاري الطبيعة ويتمم ما تعجز الطبيعة عن إتمامه لأنه في محاكاته يكشف عما ينقصها[2].

فالمحاكاة ليست قصرا على نتاج الطبيعة، او على نقل صورة لها أو مشهد من المشاهد يقف عليه الفنان من أجل إبراز حدود التشابه في الأشياء وإنما هي محاكاة لجوهر ما في الطبيعة، لإكمالها وجلاء اغراضها[3].

من خلال هذا نلاحظ ان الطبيعة هي المصدر الأساسي للإلهام الإبداعي، وهي الميدان الواسع الذي يستعين به الفنان او الشاعر في عكس تجربته الإبداعية، والارتكاز عليه لتأطيرها وتقديمها، وإبرازها للقارئ، كما أنه يسعى الى شحنها بعواطفه وأحاسيسه الوجدانية الداخلية، ويشحنها بانفعالاته النفسية لنترجم ما يعتمل في دواخله، وتعكس ما يزخر به وجدانه، ويبدو أن المبدع او الفنان في تهويماته المستمرة للبحث من الجمال والبهاء والصفاء والروعة لم يجد ذلك الجمال الحسي، والكمال النسبي والغموض المحير والروعة المتجلية والقسوة الهوجاء، اي التناقضات التي تمتاز بها الطبيعة في تقلباتها، فصار يغترف الشاعر او المبدع من ذلك نماذجا يحاكيها ليبرز ما في دواخله ووجدانه من احاسيس ومشاعر يجعل عناصر الطبيعة معيارا لها يبرز من خلال عناصرها انفعالاته الحسية ومشاعره المختلفة التي تتجلى بوضوح مرتبة ومجسدة عبر الالفاظ والعبارات التي يصورها خلالها عناصر الطبيعة التي يختارها الشاعر كوسيلة لإبراز وتأطير ما يشعر به من احساس ومشاعر وجدانية، وذلك من خلال

1- محمد غنيمي هلال – النقد الادبي الحديث – دار الثقافة، بيروت 1973م ص 53.

2- المرجع السابق ص 53.

3 المرجع السابق ص 53.

الارتباط التكاملي بين الرمز والمرموز اليه، اي بين الفكرة التي يريد المبدع ابرازها وبين الاداة او العنصر الطبيعي الذي انتقاه لإبراز فكرته، فمفهوم الطبيعة لا ينحصر في البيئة المحيطة بالإنسان فقط، وتأثيراتها الحسية بل هي اعمق من ذلك لدى اصحاب المواهب والملكات الابداعية، ذلك لأنها تحمل دلالات متعددة ومختلفة ومتباينة، كما انها تعتبر الاساس الاول لسد حاجات الانسان المادية وغير المادية على حد سواء، فعند اهل المواهب من الشعراء والمبدعين ان الطبيعة لها حضور واثر عميق في الذات المبدعة، فاذا كانت الطبيعة من اهم مصادر الالهام فهي تمثل عنصر من عناصر انعكاس العواطف والاحاسيس التي يتألف منها هذا الالهام والابداع، ولا شك في ان التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو اقوى واهم في الشعر العربي الحديث منه في اي عصر من العصور الشعرية الماضية، وهذا راجع الى رؤيه الشاعر الرومانسي العربي للطبيعة، (ولعل اساس النظرة الرومنطيقية العربية يتمثل في اعتبارها كائنا حيا، لا حسب التصور العربي التقليدي السابق، فالطبيعة ليست جمادا يشخص بل هي مجال حي يزخر بالكلمات والقوى الخفية والمنظورة على حد سواء[1].

وغرض شعر الطبيعة في الأدب العربي الحديث قد نمى وتطور مع المذاهب التجديدية والتيارات الحديثة ومن خلال ذلك فقد أسهم الأدباء المصريون بصورة عامة، وشعر المهجر في ازدهار شعر الطبيعة وصارت الطبيعة هي الجمال الثاني بعد المرأة في شعر الأربعينيات، وقد تأثر العديد من المبدعين بالمهجرين الرومانسيين ومما يحمد لهؤلاء أنهم كانوا ينفعلون مع الأشياء ويثيرون الأسئلة المحيرة تحت وطأة المعاناة[2].

ومن خلال الألفة التي تربط ما بين الإنسان والطبيعة المحيطة به، تشكل ما يشبه الهاجس والأحلام الباطنية والرؤى في عقلية الإنسان، مما يدفعه الى إجراء المقارنات بين أحاسيسه وما يحيط به من عناصر الطبيعة التي ألفها بواسطة خياله، مما يدفعه إلى اعتماد عناصر الطبيعة معاييرا يقيس بها الأشياء والأحاسيس والمشاعر، فالملاحظ

1- فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1988م، ص 141.

2- أحمد الطربسي – الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث – مطابع إفريقيا الشرق. الدار البيضاء ط1987 - 1م ص 284.

أن الإنسان لا يملك نموذجا آخر يقارن به نماذج الجمال والبهاء والرعب والخوف، او القسوة والصلابة اكثر من عناصر الطبيعة، لذلك جعلها مقياسا لمقارناته وتشبيهها في اللغة العادية اولا ثم في لغته الخاصة التي تعكس هواجسه النفسية، ثم مصدرا ومنبعا لإلهامه والفنون الابداعية[1].

والملكة الابداعية واحدة في جميع الموهوبين، والتفاوت القدرات الانتاجية الابداعية وفقا لعوامل تنمية المواهب والطاقة الإبداعية، وسعة الآفاق لدى الاديب والشاعر وعلى ذلك فان هذا الشعر العربي التشادي والذي يعد امتدادا للأدب العربي، حيث استمد الشعراء التشاديون عوامل المعرفة وصقل المواهب من خلال تأثير الأدب العربي عليهم، عبر التواصل والاتصال بمنابع العلم والمعرفة في الوطن العربي الكبير، وبالأخص مع البلاد المصرية ودور الأزهر الشريف في مد خيوط النور والعلم بواسطة النجباء من المشايخ والأساتذة، وعبر المؤلفات والكتب التي عملت على اكساب ابناء تشاد، أسس المعرفة وقواعد العلم وامكانيات الإبداع ومن خلال ذلك أسهم الافارقة بدورهم في إثراء الثقافة العربية والحفاظ عليها، فالأدب الأفريقي المتداول او المنثور انما هو وجه آخر للأدب العربي إلى دخول العصر الحديث سواء كان ذلك من حيث المواضيع التي تطرق اليها او من حيث الصياغة والأسلوب وبناء القصيدة الشعرية[2].

وعليه فإن الشعير التشادي القديم في صورته التقليدية، لا يخلو من ألفاظ الطبيعة، ذلك لأن الطبيعة عنصر لا يمكن تجاوزه في صياغة الشعر وتشكيل القصيدة في حال من الأحوال، كما نلمس ذلك في العديد من الاشعار التشادية القديمة، على سبيل المثال للحصر قول الشاعر عبد الحق السنوسي في مرثيته التي يبكي فيها معلمه الشيخ محمد ابي راس واستمرت بالسينية ومطلعها.

1- محي الدين صبحي – نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا – الدار العربية للكتاب، قار يونس. ليبيا 1984م، ص 33.

2- الشيخ إبراهيم صالح يونس – الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقية والدعوة الإسلامية – منشورات جمعية الدعوة الإسلامية. طرابلس – ليبيا 1996م ص 25.

أضحى مريضا فؤادي ناكس الرأس يبـكي لفرقة أحـباب وجلاس

حيث أورد في الأبيات التالية ألفاظا تحتوي على عناصر الطبيعة[1] :

وقد عادني لنوح الثاكلات لهم داعي هديل على أغصان مياس

وفي قوله[2]:

وهاج بلبل اشجاني على شجن. نـاعي إمام الهدى محمد نبراس

فوا الشمس هدى من افقها افلت. وتلك حجتنا في كوكب البأس

كأن في صدره بستان معرفة. سقاه من عين خضر خير غراس

نلاحظ أن الشاعر عبد الحق السنوسي قد استعان بعناصر الطبيعة ووظفها لإبراز جوانب من أحاسيسه وعواطفه مستعينا بالبيان وفروعه في ابداع ذلك. غير أنه لم يخرج من اطار التشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها من أدوات البيان حيث شبه كثرة بكائه الذي يدل على حزنه الشديد بالحمام الهادل على الفروع التي تميل بفعل الرياح، كما شبه الفقيد في حسنه ووداعته بالريم حسنا وخلقا، و شبهه بالأسد في الشجاعة، كما استعار لفظ الشمس للفقيد في علو مكانته، واشراقه وشهرته، ونفعه، ووصفه بالبستان لكثرة وتعدد العلوم التي يتقنها، فالألفاظ التي تدل على عناصر الطبيعة استمد من الشاعر عبد الحق قياسا وتقريبا لمستوى أحاسيسه وتشبيها للفقيد ومحاكاة مما يدل على ان الشعر العربي التشادي لا يجيد عن أساليب صياغة الشعر العربي، لان يستمد منه مقوماته وقواعد وأسس بنائه.

فالطبيعة في القصيدة التشادية التقليدية لا تعدو كونها إحدى الوسائل التي يستعين بها الشاعر لتقريب صورة، أو تفسير عاطفة واحساس، وذلك عن طريق التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية.

1- السينية الكبرى للشاعر عبد الحق السنوسي، قصيدة مخطوطة، مكتبة جامعة انجمينا، تشاد، ص83.

2- المرجع نفسه ص 83.

ثم إن الألفاظ والعبارات التي يوظفها الشعر التقليدي القديم، تكون ألفاظ محددة يأتي بها الشاعر لتقديم صورة محددة وثابتة ومألوفة، كما هي الحال في المعجم الشعري التقليدي، البدر للحسن، والبحر للجود والكرم وسعة المعارف، والشمس للشهرة والضياء، والأسد للشجاعة غير أن شعر الطبيعة مع الشعراء الذين انتهجوا نهج التيارات التجديدية، قد اتخذ منعطفات وأبعاد كثيرة كما هو الحال مع الشاعر بن عيسى عبد الله رائد التجديد في الشعر التشادي المعاصر، وعبد الواحد حسن السنوسي شاعر الطبيعة.

- **المبحث الثاني: أبعاد شعر الطبيعة عند عيسى عبد الله**

يعد عيسى عبد الله الملقب بأبو شويكش نسبة لحقبة كان يحملها دائما، من أبرز الشعراء الذين عرفتهم البلاد ويعتبر عيسى عبد الله رائدا للتيارات التجديدية في الأدب التشادي فهو أول من كتب الشعر الحر، والشعر التفعيلة بجانب أشعاره التي جاءت على نهج الاتجاه المحافظ الذي صاغ فيه العديد من الاشعار المتميزة في أوزانها، والمتفردة في إيقاعاتها وأجراسها الموسيقية، حتى أطلق عليه بعض الكتاب صفة الشاعر الموسيقار.

وبالرجوع إلى التواريخ التي تحدد ميلاد القصائد، نلاحظ أن تاريخ بعض القصائد التجديدية عنده يرجع تاريخ كتابها إلى عام 1972 ميلادية، حيث كتبها في المنطقة الرئيسية في الريف التشادي المحرر، والقصيدة بعنوان (رفاقي) وهي قصيدة طويلة تمجد نضال الشعب الفيتنامي وشعوب كمبوديا ولاوس في وجه الإمبريالية، ونصها[1]:

رفاقي يولدون ضحى

وفورا تلهم الأطيار ذاك الشدو والمرحا

ويغفو البرعم الوسنان

1- حذو ما قالت حذام – ديوان شعر لعيسى عبد الله – الناشر، مجلس الثقافة العام. طرابلس، ليبيا 2006م ص 63

لم تمسح نداه اليد

ولكن يوقظ الإشراق جفن الكادح المجهد

فقد آن الضحى فصحا

ليفني يومه في كد

وبنفس العام أي سنة 1972م كتب عيسى عبدالله قصيدة اخرى بعنوان "تأججي" وهي بمثابة تحية للثورة المشتعلة في المستعمرات البرتغالية بإفريقيا الخضراء ونصها[1]:

تاججي، تلهبي

أيا نيران ثواري سعوا في الأرض فتوجي وقببي

جميع الغاب في بيساو كي ينهض

لكي تستشرق الأبصار قوس النصر

يوم العرض

وبذلك فإن الشاعر عيسى عبد الله يعد هو الرائد الأول للشعر التجديدي في تشاد بلا منازع، بل على حسب ما أرى أن الشاعر عيسى عبد الله تمكن من انعاش الشعر التشادي ودفعه الى مستوى لم يبلغه من قبل في مختلف المراحل التي مر بها الشعر التشادي، ودوره في بعث الشعر في تشاد، مثل دور البارودي في بعض الشعر في مصر، وكل القرائن تدل على ذلك، ولم يكن من الشعراء الذين كانوا من جيله من يأتي بعده إلا الشاعر عباس محمد عبد الواحد وهو شاعر محافظ.

وعيسى عبد الله قد صاغ الشعر ونظمه في مختلف الأغراض الشعرية، وتسيطر على أعماله الشعرية، تلك الأشعار المرتبطة بقضية الاستعمار والنضال ضد المستعمر، وقضايا الثورة والتحرير.

1- حذو ما قالت حذام – عيسى عبد الله – المرجع السابق ص 53

فقد عاش عيسى عبد الله شاعرا ثائرا يناضل بشعره وبسلاحه ضد الاستعمار، ولذلك انضم إلى ثورة فرولينا، وهي الجبهة الوطنية لتحرير تشاد، والثورة عند عيسى عبد الله مبدا ومنهجا وفكرا ودينا، لم يحد عنه، فهو شاعر وثائر، ولكن ثورته واعية وعاقلة، تنتقي ما تثور عليه فهو ثائر حقيقي بالسلاح والقلم، ثار ضد الاستعمار وأذنابه متضامنا مع الثوار في كل بقاع الارض، فالكلمة عنده عبارة عن زخات من الرصاص يرمي به أعداء الوطن وأعداء الإنسانية وأعداء اللغة العربية.

وهذا المستوى من التمسك بالثورة والالتزام بها، يعكس مدى قوة حب الوطن في فؤاد عيسى عبد الله، كما يكشف عن عمق الوطنية والاحساس بالمواطن ومعاناته، كما نترجم أشعاره المختلفة، والكثيرة التي صاغها في قضية الوطن والاستعمار.

وحب الوطن هو الدافع الى التغني بجمال الوطن ومكانته في قلب الشاعر، وحب الوطن هو الهاجس الذي يدفع الشاعر الى الغوص والتأمل في جمال طبيعة وسحر روعتها واختلافها وبساطتها ورهبتها وغموضها، وبالتالي التعمق في تصوير الطبيعة في بلاده التي احبها وثار من أجل تحقيق العدالة والسلام والحرية في أرجائها.

وشعر الطبيعة يدخل في صميم الاتجاه التجديدي الذي يقول فيه عيسى عبد الله رائد التجديد في شعر التشادي الحديث أن المجدد عنده (هو الشاعر الذي استطاع أن يعبر عن تجربته بكفاءة وأن ينقل ما يحس به في شكل صور واخيلة ورؤي، فهو شاعر ناجح ولكنه ينبغي أن يكون هناك ما يعرف بالموسيقى، او الإيقاع، وروح الشعر هو الإيقاع، ومهما كانت المعاني التي تأتي بها عميقة، لا يمكن أن يكون شعرا ما لم تكن له موسيقى موقعة باعثة على الطرب والحركة والاهتزاز، والا فانه يعد نثرا فنيا أو غير ذلك[1].

وبهذا التيار التجديدي تمكن الشاعر عيسى عبد الله بصياغة الاشعار ونظم القصائد في الأغراض التجديدية بصورة خاصة، فهو قد اهتم اهتماما كبيرا بالقضايا الوطنية

1- لقاء مع الشاعر عيسى عبد الله بتاريخ 2011-7-1م بالمركز الثقافي الشعبي بانجمينا.

وقضية الثورة، والثورة هي عبارة عن السعي الى تغيير الأوضاع الى الاحسن، عن رفع الظلم والتصدي للجور واستبدال السلطة ضد المواطن الذي لا يريد إلا العيش بسلام في وطن ينعم بالسلام والاستقرار والحرية، والعدالة والمساواة، فلذلك اهتم الشاعر عيسى عبد الله بالوطن، وسعى الى تقديم هذا الوطن الذي ارتبط به، بعلاقات نابعة من صميم الفؤاد، ارتبط به بعاطفة الحب التي نمت لتصبح وطنية تصف الوطن وتصور طبيعته الخلابة، وخضرته النضرة ومياهه العذبة، وأهله البسطاء واناثه الساحرات الفاتنات العفيفات، وخيراته الوافرة ومعاناة الشديدة أمام الاستعمار، وأذناب الاستعمار من أبناء الوطن الذين انسلخوا عن وطنيتهم، وكل ذلك من أجل تأطير صلهج الوطن، وإعلاء مكانته في عيون ابنائه من ناحية، وليعكس ان هذه الطبيعة في ارضه بكل ما تتميز به من جمال وبهاء وخيرات، تستحق النضال والثورة من اجل تحريرها من براثن الاستعمار، ليعيش الوطن في أمان وسلام وحرية كما يقول الشاعر عبد القادر محمد أبه في قصيدته إخوان[1]:

عهدته وطني كوخ ومزرعة بساطة العيش أذكار و قرآن

فالشعر المرتبط بغرض الشعر الوطني في الشعر التشادي المعاصر، يكون مرتبطا بعلاقة طردية ما شعر الطبيعة وكان الشعراء يؤكدون بانه لا وطن بلا طبيعة، ولا طبيعة الا في الوطن، لذلك نلاحظ ان عيسى عبد الله قد تمكن من إثبات أنه لا طبيعة في هذه البسيطة، مثل طبيعة وطنه، التي تمتاز بسمات وإبعاد تتفرد بها عن غيرها، وعلى الرغم من غزارة الشعر الذي يصف الطبيعة ويصورها مجردة عن الارتباط الوطني عند عيسى عبد الله، إلا أن قصيدته التي وظف فيها الطبيعة بأشكالها ومظاهرها المتعددة وغايته في ذلك إبراز الملامح الجمالية المتعددة لوطنه اولا، ثم للمرأة ثانيا، ومن ذلك قصيدته (لكرفي) ومطلعها[2] :

1- ديوان اعصار في فؤاد، للشاعر عبد القادر محمد ابه، الناشر مطابع جي تي. الخرطوم 2013م قصيدة إخوان ص 64.

2- حذو ما قالت حذام – مرجع سبق ذكره ص 215.

أشـهد مصـفي رقيقا يسيل أم الدر يشـتهيه الفصيل
أم الريق ريق التي لم تنول مـحبا غـليلا فجن الغـليل
ألا ما حلا ليس هذا ولا ذاك بل مـاء واد حرى سلسبيل
مياه لازوم تجري بكرفي فتسـقي دليبا فداه النـخيل
وتحبوه من سكر ذاب فيها ومما حـباها دعاش بـذول
فشا نكهة حلوة مالها في سوى هذه الارض حصرا مثيل
راعي الله ازوم كم من فنون بشطانة الخضر ليست التحول
شذى كالخزامي لطيف وحسن بــدا في خزامية يستميل
وريف وريف ونور طريف ومرعى عطوف وصيد يحول

تصـوير بغايـة الدقـة والروعـة للطبيعـة فـي قريـة كرفـي، السـاحرة المغمـورة بالخضـرة والجمـال، فوصـف الشـاعر للطبيعـة ينم عن رؤيـة جماليـة تستمد اساسـها من مكـامن الحب والوطنيـة فـي اعمـاق وجدان الشـاعر، وقد اضـافت قوة العاطفـة وصـدقها علـى الوصف ابعادا قوية، تلامس احاسيس القارئ او السامع، فتجرفه الى السياحة في نهر حـب الـوطن، الـذي يسـيل مـع سـيلان الطبيعـة فـي مسـيل معنـوي مـن المشـاعر والاحاسيس.

ومـن خـلال تصـويره للطبيعـة المجسـدة تتـراءى الانثـى بجمـال فطـري، وبسـاطتها وعفويتها وبداوتها، لتضـفي علـى جمـال الطبيعـة المحسوسـة، بعدا جماليا اخر يعكس دور الانثى الذي لا يتكامل الجمال، ولا تستوي الحياة الا بوجودها وترتقي قيمة المكان، بتلك السمات العفويـة والطهر والعفـة التـي تمتـاز بهـا المرأة فـي البادية المجلوبـة علـى العفة والطهر والنقاء المتمثل في :

أزوم، وادي عريض يجري من السودان عابرا شرق تشاد إلى جنوبها، وكرفي قرية ذات سوق كبير، وانتاج زراعي وفير، ومناظر طبيعية خلابة وهي ملتقى مهم للبدو والحضر، تقع على ضفاف أزوم.

أم الريق ريق التي لم تنول محبا غليلا فجن الغليل.

فالمعادلة السارية من التشبيهات التي سردها الشاعر وهي دلالة على عذوبة مياه نهر ازوم، ونقائه وصفائه وحلاوته التي يحتار فيها المرء، أهي شهد وعسل مصفى في نقاء وصفاء، ام هي لبن الناقة الطري الحلو الذي يشتهيه الأصيل، أم هو ريق الانثى العفيفة الطاهرة التي لم تجد للحبيب برشفة من ريقها العذب الحار.

وكل هذه التشبيهات اوردها الشاعر لإثارة القارئ، وتحريك فضوله لمعرفة ما هو هذا الشيء الأعلى قيمة وحلاوة وعذوبة من العسل، واللبن وريق الحبيبة.

وقد تمكن الشاعر عيسى عبد الله من ربط وصفه ببيئة وطبيعة خاصة ببلاده، وكذلك من خلال وصفه بالخيرات الخاصة في بلاده، وهي الدليب ثمرته تسمى باسم شجرته، وهي من نوع النخيل، وثماره ضخمة ذات قشرة صلبة ونواة تنقسم الى ثلاثة اجزاء غالبا تحيط بها مادة كثيفة برتقالية اللون، حلوة الطعم طبيعة الرائحة، تؤكل ما تؤكل ثمار المانجو.

الدعاش: وهو رائحة تنتشر عقب هطول المطر، وعادة ما تكون في بداية فصل الخريف، خزامية منسوب لقبيلة الخزام قبيلة عربية.

قندول عيش: القندول هو السنبلة والعيش هو الذرة عند اهل البادية في الريف التشادي.

فهذه الألفاظ طبعت القصيدة بطابع خاص يرتبط بالبيئة التشادية وهو ما يعتبر بعدا وطنيا.

ويسيطر الشاعر عيسى عبد الله في قصيدته[1] :

بلادي جلال وسحر حلال وماء زلال وطرق كحيل

هي الرمز عندي ومعنى المعاني غنى في سخاء وفقر نبيل

وفيها نعيم وولى منه ريم وشعب قريب وحظ بخيل

وما قد حوت أرضها من مهاها إلى قردها في عيوني جميل

1- حذو ما قالت حذام – مرجع سبق ذكره ص 216

في هذا المقطع يدل الشاعر بإقراره، بعد ان صال وجال في وصف الطبيعة ورأى أنه لا يمكن أن يحصرها بالوصف والتصوير فاوجز القول، بان بلاده جلال من حيث المكانة والعظمة بالنسبة له على الاقل، فهي جليلة في قدرها ومكانتها وقيمتها وهذه العظمة والجلال، احتضنت الجمال في الطبيعة فهي تسبي وتملك شغاف قلب من راها، وكان بها سحر يسحر الإنسان ولكنه سحر حلال، وطابع من هذا الجمال والحسن المتاوج في الطبيعة الخلابة، بمياهها العذبة التي تضاهي الشهد واللين، وتسحر الإنسان بمرأى الطرف الكحيل، العيون النجلاء التي فيها ما قال الشاعر التشادي عبد القادر محمد ابه[1]:

تماثيل تحركنا جفون. لها كحل الهي طبيعي

كنايه عن العيون الحوراء

وأخذ عيسى عبد الله يصف القناعة والعفة، يصور البساطة والفقر المغلف بالنبل وكرامة النفس، والترفع من مذلة السؤال، والغناء والثراء الذي يصاحبه الكرم والجود والسخاء، أي كمال الأخلاق في أهل هذه البلاد الذين يتمتعون في هذه الأرض الخيرة والطبيعة الساحرة. غير أن هذه النعمة والخيرات، والجمال والسحر وهذه الاخلاق الكريمة والشهامة لم يخلص ممن ينكد عليه العيش وينغص عليه رؤيه هذا الجمال الطبيعي، والعيش الهني البسيط لذلك ذكر قائلا[2] :

هم استعمرونا فعاثوا فسادا كما عاث وسط البساتين فيل

ذكر المستعمر بضمير الغائب، ترفعا من ذكر اسمه أو وسمه واستحقارا له، لما ذكره من أصناف فظائعه، أبسطها انهم عاثوا فسادا و خرابا، وقتلا وتدميرا وتحطيما وتكسيرا ودكا وتهشيما وحرقا، وهذا الفساد الذي خلقوه وراءهم تماما مثل الخراب الذي يخلفه الفيل عند دخوله البستان العامر بالخيرات والجمال لذلك يقول[3] :

1- إعصار في فؤاد – مرجع سبق ذكره ص 84

2- حذو ما قالت حذام – مرجع سابق ص 218

3- حذوما قالت حذام – مرجع سابق ص 218

مع المعتدين التعاطي حرام. وأما التماهي فداء وبيل

موالاتهم كاحتضان الأفاعي. وتمدينهم شائعات تهول

فهل نال اجدادنا غير حز وهل أحسنت غير ذاك النصول

إن الفكر الثوري يسيطر على الشاعر عيسى عبد الله، الذي نذر حياته لتحرير البلاد من قبضة المستعمر بالسلاح والقلم، وهذه الأبيات تعد عصارة تحاربه، وجوهر فكري تجاه المستعمر الذي أفسد في أرض تشاد، إبان فترة الاستعمار وبعد الاستعمار يرى أن العلاقات والتعامل معهم حرام، وتبنى ثقافتهم واتباع اساليب حياتهم فهذا مرض خطير يؤدي الى الهاوية والهلاك والضياع.

واتخاذهم أولياء واصفياء، كمن اتخذ الأفاعي خلانا ورفاقا، عاقبته معروفة، والمدنية التي يزعمون أنهم جاؤوا بها ما هي الا شائعات كبيرة ودعايات اعلامية، لأنه بالتجربة ادركنا أن المعاملة معهم لا تؤدي إلا ما وجد اجدادنا منهم، وهو حز الرقاب، وجز الاعناق في المجازر والمذابح التي قام بها المستعمر عند المواطنين، وابرزها مجزرة الكبكب (الساطور) عام 1917م في مملكة وداي شرق تشاد، لأنهم لا يعرفون الا لغة النصال والنار، والنصال لا تحسن إلا القطع.

وهذا ما ينغص حلاوة الوطن ويشوه جمال الطبيعة في بلاد الشاعر عيسى عبد الله.

- **المبحث الثالث: شعر الطبيعة وأبعاده عند عبد الواحد**

عبد الواحد حسن السنوسي شاعر تشادي جاء ميلاده في واحة من واحات الصحراء التشادية، فجاءت شاعريته واسعة رحبة كرحابة الصحراء المترامية الأطراف.

وقد أسهم في تكوين شاعريته الفذة أنه ترعرع وبدأ تعليمه في احدى البلاد العربية، حيث نشأ في ليبيا وتلقى تعليمه الأولي في مدينة اجدابيا، وفي شبابه تنقل في أرجاء الوطن العربي الكبير، حيث زار مصر ومكث فيها كما زار السودان والعراق والسعودية، وسوريا واستقر أخيرا في تشاد حيث عمل في السلك العسكري، وتلقى تدريباته في الولايات المتحدة الأمريكية ولكنه انسلخ عن الجيش في عام 1990م وظل يعمل

مصورا بالتلفزيون الوطني التشادي، ثم صحفيا حتى وافته المنية عام 2010م في مدينة انجمينا[1].

يعد عبد الواحد حسن السنوسي من أبرز الشعراء التشاديين من حيث القدرة على صياغة الشعر، كما يمتاز اسلوبه بالتفرد من حيث القوة والمتانة، ودقة المعاني والإطناب المرغوب (والسمة الغالية في شعره توظيف الطبيعة في إطار رومانسي جيد)[2].

وقد ساعده على اكتشاف الطبيعة في تشاد ميلاده في الصحراء التشادية، وفي عمق الواحة البطحاء عاصمة الشمال مدينة فايا، وما فيها من أشجار النخيل والمياه المتدفقة والكثبان الرملية، والرياح وما تقوم به من تشكيل الرمال وبناء الكثبان الرملية وتحويل هذه الأشكال من جهة الى جهة اخرى حسب فصول السنة، واتجاه هبوب الرياح، وكذلك مناظر الجبال العالية، التي تنتصب في وسط الرمال وما يكتنفها من غموض وهيبة، والليل في الصحراء وما يلفه من صمت وهدوء، وكأن النجوم اللامعة الساطعة التي تبدو قريبة تسترق الصمت، وتبحث عن صوت يسري من ازير الرياح الخفيفة التي تحمل النسائم لتبريد حرارة النهار.

كما أنه شاهد البحر والغابات والازهار ناهيك عن الظواهر الطبيعية الأخرى، وقد اكسبه العمل في الجيش تجاربا عديدة عاشها في كنف الطبيعة في بلاده.

ونسبة لانتقاله في البلاد العربية واستقراره في مصر ردحا من الزمن، تمكن عبد الواحد حسن السنوسي من اكتساب افاق علمية وثقافية، أسهمت المكتبات الكثيرة والحياة الثقافية في مصر من تكوين شاعريته وصقلها، وتنبتها فصار شاعرا فذا لا يدرك ركابه ومثل هذه الموهبة الفذة بحاجة إلى مساحة رحبة واسعة، لتستوعب انفعالاتها الشعورية وعاطفتها المتدفقة شعرا وقد تساعده على ذلك اعتماده للتيار

1- عبد الله مصطفى – مختارات من الادب التشادي باللغة العربية- الناشر – لجنة الكتاب التشاديين – انجمينا 2009م ص 89

2- محمد فوزي مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، مصر 2009م ص 541.

التجديدي، الذي يتلاءم مع انفعالاته العاطفية القوية، والقضايا المختلفة التي تناولها في شعره والمرتبطة بقضايا الوطن والمجتمع والقضايا الإنسانية والوجودية والذاتية

وشعر الاتجاه التجديدي يستند الى الطبيعة في بناء جماليات تشكيل النص الشعري، فالطبيعة ليست غرضا شعريا تجديديا فحسب، وإنما هي أضحت عنصرا من عناصر القصيدة التجديدية، والعلاقة بين الطبيعة والشعر التجديدي أخذت منعطفا اكثر عمقا وابعد غورا، وأشد تماسكا لدرجة الامتزاج ما بين النص الشعري والطبيعة، بمختلف عناصرها، والشعر هنا يمثل وجدان الشاعر او الذات الشاعرة، وهي عادة تكون مفعمة بالأحاسيس عامرة بالمشاعر وتتفاعل بما يدور حولها في العالم الخارجي، او ما يدور بداخل النفس الشاعرة، لان الشعر ما هو إلا افضاءات بذات النفس[1].

فالشاعر التشادي قد تأثر بهذه التيارات التجديدية التي انتشرت انتشارا واسعا، مما ادى الى انتهاج العديد من الشعراء في الوطن للمذاهب و التيارات التجديدية واتجاهاتها الشعرية المختلفة، كجماعة الديوان ومدرسة أبولو ومدرسة المهجر، ومن خلال هذا التجديد، فإن هذا التأثير قد أقحم الطبيعة في اشعار المجددين سواء من جراء تأثرهم بخصائص التيار التجديدي، ام من خلال النزعات النفسية الذاتية للمبدعين، والتي تجنح الى الميل نحو الطبيعة، بحثا عن الصفاء أو الالهام، او اتخاذها مصدر للإلهام والوصف أو بحثا عن ملجأ ودف أو سعيا وراء الجمال، او تعبيرا عن حب الوطن بالكشف عن طبيعته وتصويرها، او غير ذلك من المنعطفات التأملية الفلسفية والدينية.

فالأبعاد الظاهرة الخفية التي تمتاز بها الطبيعة تمثل تحويا ومكمن الحيرة والتساؤل في الشاعر الرومانسي الذي يمتاز بالحيرة والضياع والقلق، مما جعل الشعر يستمد تجربته الشعورية ومقومات بنائه من الانفعال الصادق والعاطفة الحقيقية النابعة من أعماق الشاعر الوجدانية، لذلك نلمس في شعر عبد الواحد في غرض الطبيعة (وحيا صادقا ينطلق من الحقائق، ويصدر عن رؤي تعبر عن الذات ثم لون من الحقيقة، التي

1- محمد غنيمي هلال – النقد الادبي الحديث – مرجع سابق ص 395.

يوحي بها الخيال الإنساني في موضوع من موضوعات النفس لها علاقة بالعواطف والمشاعر)[1]

ومن الملاحظ أن الشعر التشادي العربي في اتجاهاته التجديدية بصورة عامة، وأعمال الشاعر عبد الواحد حسن بصورة خاصة، تستمد مقومات تشكيلها من الطبيعة، كما تتخذ من عناصر الطبيعة مرتكزات تقوم عليها القصيدة والدافع الى ذلك يكون اما خارجيا يتمثل في:

1. اتخاذ الطبيعة وسيلة لإبراز الاحاسيس والمشاعر واظهار ما بداخل الوجدان
2. الافتتان بطبيعة الارض الخلابة وتصويرها، واستجلاء مكامن جمالها وروعتها لغاية إبراز قيمة الوطن وجمال طبيعته .
3. الدعوة الى التمتع بالمناظر الخلابة في الطبيعة وتأمل دقائق حسنها و مناظرها البهيجة التي تنشل الإنسان من دوامة القلق والركض وراء الماديات التي تعميه وتشغله من التأمل في الطبيعة والتمتع بها
4. اتخاذ الطبيعة منطلقا للدخول الى عالم التأمل والتفكير في قدرة الخالق وابداعه، مما يقوي النزعة الدينية.
5. الانصهار والانسجام مع آيات الطبيعة وجمالها والتكيف معها، مما يعلي القيم الجمالية في الانسان

كل هذه الأمور هي الأسباب المحركة للشاعر عبد الواحد حسن الى الاكثار من شعر الطبيعة والتعمق فيه، كغيره من الشعراء المجددين. ومن خلال شعر الطبيعة وصياغته، تمكن عبد الواحد من الإبداع الفني المتميز لدرجة تقديم صور ومناظر رائعة وبديعة، يرسمها بالعبارات والكلمات، وينسج صورها مستعينا بالخيال الذي يطفى عليها أبعادا جمالية، ودلالية وقيمية، ولغوية، يعلي بها من قيمة بلاده ومكانة موطنه، موظفا

1- إبراهيم السولامي، تأملات في الأدب المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1979م، ص 88.

عناصر الطبيعة المنتشرة في ربوع بلاده الواسعة، غير انه يشحن الألفاظ والعبارات بدلالات ومعاني تزخر بمشاعره، ومكنونات وجدانه، عن طريق الإيحاء والرمز، ويعمل على رسم الصور الفنية التي هي التركيب القائم على الاصابة في التنسيق الفني الحي لوسائل التعبير، التي ينتقيها وجود الشاعر، أي خواطره ومشاعره وعواطفه منطلقا من عالم المحسنات ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في اطار قوي تام مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين[1]. وهي ايضا الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وامكانياتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز، وغيرها من الأساليب البلاغية[2].

ويمكن أن نلمس ذلك في أشعار عبد الوهاب حسن السنوسي التي زانها بالصور الفنية المعبرة والعاكسة للدلالات النفسية والموحية بما يرمي إليه الشاعر عن خواطر وأفكار كما هو وارد في قصيدته (بلدي) ومطلعها[3]

بلدي أقسمت بعزتها الا انساها

كلمات نقشت في شفتي وبقلبي يكمن معناها

بلدي مهما بعدت عني ففؤادي يحفظ ذكراها

وحنيني شلال يهدر الا يذكر الا اياها

وصلاتي الحان تدعو ابدا لا تدعو الاها

سأناديها واناجيها وسأقسم اني اهواها

بلدي بالسمرة تعرفها وبقلب السمرة تلقاها

1- علي صبح – البناء الفني للصورة الادبية – ط1، 1996م المكتبة الأزهرية – القاهرة، ص 146.

2- عبد القادر القط – الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر – دار النهضة للطباعة والنشر – بيروت ط 3، 1981م ص 391

3- ديوان كبرى، للشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، ص 64

فالداعي إلى عناق بلده بهذا الزخم من الشوق والحنين، هو عامل الغربة والبعد عن الوطن، مما جعل حنينه إليها شلال متدفق بقوة له هدير وصخب، ولا يذكر في هديره الا بلده.

وقد وصف بلده بالسمرة، التي هي من أبرز سماتها ذلك لأن كامنة في قلب السمرة، أي قلب القارة الأفريقية.

وعبر حنينه وشوقه لبلده، ولهفته إليها يؤجج في فؤاده مكامن الشوق، بالذكرى وتصوير طبيعة البلد فيقول[1] :

بلدي ان انسى لا انسى سمراوات من شاطيك

يلبسن جمالا لا يبلي كجذور النخل يواديك

ونسائم صيفك ما رقت وليال الانس يناديك

والسهل الأخضر منسجم بصفاء مياه شواطيك

وجبال تيبستي شامخة والشاري رق يناجيك

تتوالى مناظر الطبيعة مشخصة ومجسدة، وكان الشاعر غرق في التذكر وزجت به الذكرى الى متابعة مناظر بلاده، وكأنه يؤكد لنفسه بانه لم ينسى هذه المناظر ولا ينساها ابدا.

فبدأ بالسمرة وهو من أبرز سمات الشعوب الأفريقية، وجعل الجمال لباسا يلبس، ولكنه لا يبلي، اشارة الى رشاقة ولياقة الأجساد الأفريقية، فهو جمال لا يبلى ولا يذبل ويظل قويا يتحدى البلى، كجذور النقل التي تقاوم البلى، كناية عن ديمومة الجمال في الانثى الأفريقية السمراء.

والشاطئ وهو ما أجمل بقاع الطبيعة، حيث تلتقي اليابسة بالماء، وقد قرن بين السمراوات الجميلات والشاطئ، لانه ميدان لاستعراض الرشاقة والقوام بكل حرية.

1- ديوان كبرى، للشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، ص 64

ومن عناصر الطبيعة التي جاء ذكرها في القصيدة، النسيم، الشلال، السهل، مياه ، جبال تيبستي، نهر شاري.

ومن خلال تصوير الشاعر لبلاده وطبيعتها نرى ابتكارا في الأسلوب الذي يصدر عن موهبة طبيعية في الشاعر أو طول مران، وخير الكلام ما تقدر به على الظفر بأفكار جديدة في يسر[1].

وفي قصيدته (شاهد عيان) التي تناول فيها نكبة إفريقيا ومعاناتها بالاستعمار الغربي، الذي قاست منه الويلات والعذاب والهلاك والفقر، وتشويه الملامح ومسح الصورة الثقافية الافريقية، وقد استعان الشاعر بألفاظ الطبيعة وعناصرها، لإبراز الجانب الجمالي والخير والعطاء الوفير لأفريقيا قبل دخول الاستعمار، وقد أطلق عليها اسم (وديعة) حيث تطالعنا الطبيعة الريانة النابضة بالحياة والجمال والخير والعطاء بلا حدود، وقد سعى الشاعر الى رسمها ووصفها وتصويرها بعناية بالغة، حتى يرسخ جمالها ويتغلغل الى قلب القارئ بصورة مؤثرة، ويركن الى هذه الوديعة وينسجم معها تمهيدا لمفاجأته بالمصاب الذي يقع عليها، والبلايا التي نزلت بها، واتلفت هذا الجمال، وأهلكت هذه الوداعة وخرجت هذه الطبيعة ولم تر فيها الا غنيمة ومصلحة.

والطبيعة في وديعة هي مصدر للخير الوفير، والرزق والعطاء بلا حساب ولا تقتير – يقول عبد الواحد في قصيدة وديعة ومطلعها[2] :

قد كان فيما كان

في قديم الزمان

في قرية بعيدة

مجهولة المكان

1– محمد غنيمي هلال – النقد الادبي الحديث – مرجع سابق ص 125

2– ديوان كبرى، للشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، ص 92

قليلة البنيان – كثيرة السكان – يسكنها السلام والامان وقلبها يخفق بامتنان

لنفترض أن اسمها وديعة... لأنها وديعة

لأنها بأهلها منيعة... وأرضها طيبة مطيعة.. تعطي بلا حساب ودونها ما دين ولا عذاب – ودونها ما وسائل للنشر والإعلام

يستعرض الشاعر في هذا المقطع من قصيدته واصفا حال القرية الامنة وديعة، وما يغمرها سكينة وسلام وهدوء، وما تنعم به من خيرات وفيرة، وما يربط اهلها من وئام ونظام وسلام ومحبة، والخيرات في طبيعة هي من عناصر الطبيعة حيث[1]

تعطي بكل حبة من مطر لامسها

قنحا وزيتونا وهيهات

وتينا عابقا كأنه الريحان

والموز والكاكاو والإتيات

والموز والأعناب والرمان

وكانت الباوبات

كبيرة الاشجار

تظلل القرية في أمان

منذ عصور الفرس والرومان

فعبر هذه الصورة المتتالية والخيرات المتسلسلة، يرسم الشاعر ملامحا للطبيعة التي تغمر القرية وتحيط بها. ووديعة رمزا لأفريقيا في عهد البراءة والطهر والسلام والهناء، قبل أن تدنسها أقدام المجوس والنصارى وبعض اليهود وبعض الكلاب. والغاية من

1– ديوان كبرى . مرجع سابق ص 91

رسم صور الطبيعة بهذا العمق وتصويرها بهذه الروعة هو استجلاء الجمال والبراءة والوداعة والسلام والخير الوفير لأفريقيا قبل دخول الاستعمار.

فمن خلال هذه النماذج لشعر الطبيعة الذي يعكس دلالة انتماء الشاعر عبد الواحد للتيار الرومانسي من جهة، واعترافا منه بأهمية الطبيعة كمصدر للإلهام من جهة أخرى.

وقد تمكن الشاعر عبد الواحد من الإبداع في تصوير الطبيعة، ووصفها لدرجة الابتكار في الاسلوب، كما وظف الفاظ الطبيعة على منوال المجددين، فشحنها بالرمز والدلالات النفسية والإشارات والايحاء، وجعلها منبعا للأمل والتفاؤل، كما جعل منها محركا للشوق والحنين، وقيسا يشعل نار الارتباط وحب الوطن، كما جعل منها قرائن وبراهين على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، كما وظفا ليعكس بها معالم السعادة والهدوء والوعة.

- **خاتمة**

ختاما لهذه الورقة البحثية التي تعرضت فيها لأبرز الشعراء التشاديين، الذين عرفتهما الساحة الأدبية في تشاد، وهما الشاعر عيسى عبد الله الملقب بأبي شويكيش رائد الشعر التجديدي، والشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، شاعر الرفض والتمرد، وقد تعرضت الدراسة لغرض واحد من ضمن الأغراض التي تناولاها في أشعارهم، وهو غرض شعر الطبيعة، والأبعاد التي يتضمنها هذا الغرض، سواء البعد الوطني أو الابعاد الدلالية، أو الأبعاد الجمالية أو الأبعاد النضالية وغيرها من الأبعاد، وتسعى الدراسة من خلال هذا التناول إلى أبرز جوانب القوة والإبداع والطاقة الشعرية لدى الشاعرين المتميزين اللذين يعتبران من أبرز الشعراء مكانة في فضاءات الشعر التشادي، فمن خلال النماذج الشعرية التي تناولتها الدراسة بالوصف والتحليل كما يقتضي منهجها، توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- يعد الشاعر التشادي عيسى عبد الله هو الرائد الأول للشعر التجديدي في الأدب التشادي المعاصر.

- أسهمت حياته الثورية في الريف التشادي على اهتمامه بالطبيعة.
- يراعى عيسى عبد الله في صياغة الشعر الطبيعي الموسيقى والإيقاع والصور الفنية التي هي من أهم مميزات الشعر التجديدي.
- يتضمن شعر الطبيعة عنده العديد من الأبعاد الوطنية والجمالية والدلالية والقيمية والنضالية.
- يمثل شعر عيسى عبد الله عامة، وفي غرض الطبيعة خاصة انتقالًا محوريًا في مسيرة الشعر التشادي المعاصر.
- يعد عبد الواحد حسن السنوسي، شاعرا موهوبا ومتميزا.
- تمكن عبد الواحد حسن من التفرد في أساليب كتابة الشعر.
- اسهمت نشأته وحياته العلمية والعملية من اكتشاف جمال الطبيعة، الأمر الذي ساعده في الإبداع فيه.
- يعكس شعره الطبيعي دلالات أهمها الثورة والرفض والتمرد على ما ينقص السلام والأمان في الطبيعة.
- تمكن الشاعران من إبراز جوانب الجمال والخير في طبيعة بلدهما.

- **التوصيات**

- إجراء الدراسات والبحوث عن أعمال الشاعرين التي ما زال العديد منها مخطوطة
- طباعة ونشر مخطوطات الشاعرين.
- تكريم الشاعرين بإضفاء اسميهما في المؤسسات العلمية والثقافية.

- **المصادر والمراجع**

1. إبراهيم السولامي، تأملات في الأدب المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1979م.
2. الشيخ إبراهيم صالح يونس، الأبعاد التاريخية للإسلام في إفريقية والدعوة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس- ليبيا 1996م.
3. أحمد الطريسي، الرؤية والفن في الشعر العربي الحديث، ط1، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1987م.
4. الشاعر عبد الحق السنوسي، "السينية الكبرى" قصيدة مخطوطة. مكتبة جامعة إنجمينا، تشاد.
5. الشاعر عبد الواحد حسن السنوسي، "ديوان كبرى".
6. عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت ط 3، 1981م.
7. عبد القادر محمد أبه، ديوان إعصار في فؤاد، الناشر مطابع جي تي، الخرطوم 2013م.
8. عبد الله مصطفى، مختارات من الأدب التشادي باللغة العربية، لجنة الكتاب التشاديين- إنجمينا 2009م.
9. علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية، ط1، المكتبة الأزهرية – القاهرة 1996م.
10. عيسى عبد الله، ديوان شعر "حذو ما قالت حذام"، مجلس الثقافة العام- طرابلس، ليبيا 2006م.
11. الشاعر عيسى عبد الله (لقاء شخصي) بتاريخ 2011-7-1م بالمركز الثقافي الشعبي بإنجمينا.
12. فؤاد القرقوري، أهم مظاهر الرومنطيقية في الأدب العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1988م.
13. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، بيروت 1973م.
14. محمد فوزي مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر التشادي، مصر 2009م.
15. محي الدين صبحي، نظرية النقد العربي وتطورها إلى عصرنا، الدار العربية للكتاب، قار يونس، ليبيا 1984م.
16. المعجم العربي الأساسي، مطابع امبريمتو، بيروت، لبنان1991م.
17. ميشال جايران، مظاهر الكون، دار المعارف، بيروت 1996م.